١٧

السياق القرآني لمادة (سحر ومشتقاتها) دراسة بلاغية

إعداد الدكتور: عمر علي غالب صالح

الإيميل: Omer.a.ghaleb@aliraqia.edu.iq

مستخلص البحث :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى . أما بعد:

يسعى هذا البحث لإبراز أثر السياق القرآني على دلالة الألفاظ ، فكيف لا ؟ و إن القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكل لفظ وضع في القرآن فإنما قُصِد لفظًا ومعنى، ومن هذا المبدأ اتخذت دراسة (السياق القرآني لمادة (سحر ومشتقاتها) دراسة بلاغية) للكشف عن بعض جوانب إعجاز القرآن الكريم في اختيار الألفاظ والصيغ والتراكيب لأداء المعاني العالية السامية الدقيقة العجيبة والوقف على بلاغتها التي لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها، وإن السياق القرآني من أهم أدوات التفسير ، فهو يرشد البيان البلاغي للفهم الصحيح ، ويمنع الوقوع للتأويل الخاطِئ؛ لذلك لا يمكن فصل أي أية عن محيطها اللفظي أو التاريخي عند بيان معناها أو تفسيرها , ومن أبرز من تحدث عن هذه النظرية عبد القاهر الجرجاني حول نظرية النظم و الإمام الزمخشري في كشافه ، والبقاعي في درره ، والطاهر ابن عاشور في تحريره، و غيرهم من العلماء الكبار ممن تحدث في هذه النظرية.

المطلب الأول : ماهية السياق لغة واصطلاحاً :

أولاً: السياق لغة:

قال ابن فارس (ت:٣٩٥ هـ) : ((السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدُ الشيء. يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسيقَّة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقتُ إلى امرأتي صداقها، واستقته، والسوق مشتقة من هذا))[١]، وذكر الفيروز أبادي وقد انساقت الإبل تتابعت وتقاودت[٢] ، وعند الزمخشري ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و" إليك يساق الحديث " وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده[٣] .

ومن ينعم النظر في معجمات اللغوية يجد أن مادة السياق في اللغة تأتي بمعنى التتابع ، والاتصال ، والدفع ، والأخذ ، والاطلاق، وهذا ما قال به الدكتور مثنى عبد الفتاح إن السياق في اللغة يدل على تتابع منتظم في الحركة توصّل إلى نهاية معينة دون انفصال[٤].

ثانياً: السياق اصطلاحاً :

إنَّ العرب يضعوا تعريفاً جامعاً مانعاً لهذا المصطلح أو صرح به وإنما يشيرون إلى دلالاته من غير أن يحددوا معناه النظري تحديدًا صريحًا ، بل عبروا عنه فقال الجاحظ بـ((مقتضى الحال)) [٥] ، وقال القزويني بقوله : ((ولكل مقام مقال))[٦] إذ ربط البلاغيون بين بلاغة الكلام وموافقته لمقتضى حال المخاطب، حتى أنهم عدّوا الكلام البليغ ما وافق هذا الشرط، وهم بكل ذلك يشيرون إلى السياق ويقصدونه من غير تسمية له، وقد أشار الجرجاني إلى السياق بقوله :((إنَّ الألفاظ المفردة التي هو

---

[١] مقاييس اللغة : ١٣٦/٣.

[٢] ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي: ٣٣٦/٣.

[٣] ينظر: أساس البلاغة: ٤٨٤.

[٤] ينظر: نظرية السياق القرآني: ١٤.

[٥] البيان والتبيين: الجاحظ:٨٨، وينظر: أدب الكاتب: ابن قتيبة: ١٤.

[٦] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني: ١/ ١٣.

أوضاع اللغة، لم توضع لِتُعْرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما فوائدُ. وهذا علِمٌ شريفٌ، وأَصلٌ عظيم)) [٧].

وبَيَّنَ الطبري ضرورة مراعاة السياق في التفسير القرآني إذ قال: ((لا يجوز صرف الكلام عما هو في سياق غيره إلا بحجة التسليم لها من دلالة ظاهرة التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به))[٨]، وقد أشار ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) إلى السياق بقوله: ((إنّ كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه))[٩]،من المحدثين عبد الحكيم عنده السياق : ((هو بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السياق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم به))[١٠].

المطلب الثاني: أثر السياق على النص :

---

[٧] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني: ٥٣.

[٨] جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: ٦/ ٢٣.

[٩] الأضداد: محمد بن القاسم الأنباري: ٢.

[١٠] ينظر: دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير- دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير ، رسالة ماجستير ،جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين، الرياض – السعودية :١٤٢٠ه :٦٢.

للسياق دور كبير عند البلاغيين والمفسرين، إذ يُعُّد من القواعد التي يعولون عليها في بيان الظواهر اللغوية وتفسيرها، إذ إنهم وجدوا أنَّ السياق من أبرز القرائن في الإيضاح عن المعنى ، ، وهذا ما صرح به إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم [١١] ، و وعند ابن القيم أنَّ للسياق ودلالته وأهميةً عظيمةً، إذ لا يمكن لمن يقدم على مهمة التفسير أنْ يتجاهله فبدونه يكثر الزلل، ويزداد الخطأ فضلاً عمَّا يقدمه السياق من تخصيص عام، وتقييد مطلق، وتبَيين مجمل [١٢].

وللسياق سمة تعبيرية بوساطتها يمكن معرفة المراد من الآية القرآنية أو السورة كلها، وهذا ما تنبه إليه الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي بقوله: ((قد يكون للسياق الذي ترد فيه الآية سمة تعبيرية خاصة، فتتردد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة. وقد يكون للسورة كلها جو خاص، وسمة خاصة، فتطبع ألفاظها بتلك الصفة، وهذا واضح وكثير في القرآن الكريم))[١٣].

إنَّ من أعظم ما يتميز به كتاب الله تعالى، ويُعُّد من مظاهر إعجازه وبلاغة السياق القرآني؛ ذلك أن المفسر أو الباحث في التفسير إنما ينظر في السياق القرآني واللغوي من دون غيرهما من أنواع السياقات، ولعل هذا يكشف بوضوح أنَّ القرآن الكريم محتمل للوجوه الكثيرة والمعاني المتعددة. والسياق القرآني يختلف عن بقية السياقات الأخرى إذ إنَّه متعدد الاتجاهات وإنْ كانت تتداخل بعضها في بعض

المطلب الثالث : دلالة سحر في اللغة والاصطلاح

سحر لغة:

---

[١١] ينظر: دلائل الإعجاز: ٤٩.

[١٢] ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية : ٤/ ٤١٥.

[١٣] التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي: ٢٣٧.

قال ابن فارس:(((سَحَرَ) السِّينُ وَالْحَاءُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ مُتَبَايِنَةٌ: أَحَدُهَا عُضْوٌ مِنَ الْأَعْضَاءِ، وَالْآخَرُ خَدْعٌ وَشِبْهُهُ، وَالثَّالِثُ وَقْتٌ مِنَ الْأَوْقَاتِ، فَالْعُضْوُ السَّحْرُ، وَهُوَ مَا لُصِقَ بِالْحُلْقُومِ وَالْمَرِيءِ مِنْ أَعْلَى الْبَطْنِ. وَيُقَالُ بَلْ هِيَ الرِّئَةُ. وَيُقَالُ مِنْهُ لِلْجَبَانِ: انْتَفَخَ سَحْرُهُ. وَيُقَالُ لَهُ السُّحْرُ وَالسَّحْرُ وَالسَّحَرُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَالسِّحْرُ، قَالَ قَوْمٌ: هُوَ إِخْرَاجُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَيُقَالُ هُوَ الْخَدِيعَةُ))[١٤].

. قال الأزهري :((السِّحْرُ عمل يُقْرَبُ فِيهِ إِلَى الشَّيْطَان وبمَعُونَةٍ مِنْهُ، كل ذَلِك الأمْرِ كَيْنُونَتُه السِّحْر، وَمن السِّحْر الأخْذَةُ الَّتِي تأْخُذُ العَيْنَ حَتَّى تَظُنَّ أَنَّ الأمرَ كَمَا تَرى وَلَيْسَ الأصْلُ على مَا تَرَى)) [١٥]، و قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وآله وَسلم ((إنّ من البَيَان لسِحْراً)) [١٦].

وقَالَ أَبُو عُبَيد: كأنّ الْمَعْنى وَالله أعلم أَنه يَبْلُغُ من بَيَانِه أَنَّه يَمْدَحُ الإنسانَ فيَصْدُقُ فِيهِ حَتَّى يَصْرِفَ الْقُلُوب إِلَى قَوْله، ثمَّ يَذُمُّهُ فيَصْدُقُ فِيهِ حَتَّى يَصْرِفَ القُلُوبَ إِلَى قولِه الآخر، فكأنّه قد سَحَر السامعين بذلك. قلت: وأصل السِّحْرِ صَرْفُ الشَّيْء عَن حَقِيقَتِه إِلَى غَيره[١٧].

وذكر الرازي السَّحَرُ: آخِرُ اللَّيْل، تَقول: لَقيتُه سُحْرةَ يَا هَذَا، وسُحرةً بِالتَّنْوِينِ، ولَقيتُه سَحَراً وسَحَرَ بِلَا تَنْوِين، ولَقيتُه بالسَّحرِ الْأَعْلَى إذا أردت به سحر ليلتك لم تصرفه، لانه معدول عن الالف واللام. وهو معرفة وقد غلب عليه التعريف بغير إضافة ولا ألف ولام، كما غلب ابن الزبير على واحد من بنيه. وتقول: سر على فرسك سحر يافتى، فلا ترفعه، لانه ظرف غير متمكن [١٨]، ولقِيتُه بِأَعْلَى سَحَرين ولقِيتُه بِأَعْلَى السَّحَرَين، وَقَالَ العجّاج[١٩]:

حتى إذا الصُّبحُ له تنفَّسا غَدَا بأَعْلَى سَحَرٍ وأَحْرَسا

سحر اصطلاحاً:

---

[١٤] مقاييس اللغة :١٣٨/٣.

[١٥] تهذيب اللغة : ١٦٩/٤

[١٦] سنن الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، كتاب البر والصلة: ٦/ ٢٣٠.

[١٧] تهذيب اللغة: ١٧٠/٤.

[١٨] الصحاح: ٦٧٨/٢

[١٩] ديوانه : ١٦٢.

السحر في عرف الشرع يختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع، وإذا أطلق ذم فاعله[٢٠]، وقد يستعمل مقيدًا فيما يمدح ويحمد نحو خبر "إن من البيان لسحرا" بلفظ "إن من البيان سحرا" أو "إن من البيان سحر"[٢١]. أي إن بعض البيان سحر لأن بعضه يوضح المشكل ويكشف عن حقيقية المجمل بحسن بيانه فيستميل القلوب كما يستمال بالسحر. وقيل لما كان في البيان من إبداع التركيب وغرابة التأليف ما يجذب السامع ويخرجه إلى حد يكاد يشغله عن غيره شبه بالسحر الحقيقي[٢٢].

المطلب الرابع : الوجوه والنظائر لمادة(سحر) في القرآن الكريم :

الوجه الأَوّل: بمعنى العِلم، والسّاحر بمعنى العالم الحاذق:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٩]، أَي يأَيها العالم.

الوجه الثاني: بمعنى الزُّور والكذب:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْجَدِيدِ ٱلْمُجَٰدَلَةِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [الأعراف: ١١٦] ، أَي كذب وزُور، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلصَّٰفَّٰتِ ۝ ٱلزَّبْرِ ۝ غَافِرِ ۝ فُصِّلَتْ ۝ ٱلشُّورَىٰ ٱلزُّخْرُفِ ﴾ [القمر: ٢] أَي كذب قوي تامّ.

الثالث: بمعنى ربط العيون: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْفَتْحِ ٱلْحُجُرَٰتِ ق ٱلذَّٰرِيَٰتِ ٱلطُّورِ ٱلنَّجْمِ ٱلْقَمَرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلْوَٰقِعَةِ ٱلْحَدِيدِ ٱلْمُجَٰدَلَةِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [الأعراف: ١١٦]

الرَّابع: بمعنى الجنون، والمسحور المجنون: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلتَّغَابُنِ ٱلطَّلَٰقِ ٱلتَّحْرِيمِ ٱلْمُلْكِ ٱلْقَلَمِ ٱلْحَاقَّةِ ٱلْمَعَارِجِ نُوحٍ ٱلْجِنِّ ٱلْمُزَّمِّلِ ٱلْمُدَّثِّرِ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱلْإِنسَٰنِ ٱلْمُرْسَلَٰتِ ٱلنَّبَإِ ٱلنَّٰزِعَٰتِ عَبَسَ ٱلتَّكْوِيرِ ٱلْإِنفِطَارِ ﴾ [الإسراء: ٤٧] ،أَي مجنوناً.

---

[٢٠] التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: ١٩١.

[٢١] أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، السنن كتاب البر والصلة: ٦/ ٢٣٠.

[٢٢] المصباح المنير، مادة "سحر" ص١٠٢.

الخامس: بمعنى الصّرف عن الحقّ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الْأَنشِقَلِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ ﴾ [المؤمنون: ٨٩]، أَي تصرفون[٢٣].

السّادس: بمعنى الإحواج إلى الطعام والشراب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ ﴾ [الشعراء: ١٥٣],

والسَّابع: بمعنى آخر اللَّيل ومقدّمة الصّبح: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿ ﴾ ﴾: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الْأَعْرَافِ الْأَنفَالِ التَّوْبَةِ ﴾ [٢٤].

تبين لي أن أصول السحر ثلاثة وهي :

الأول: زجر النفوس بمقدمات توهيميه بما يعتاده الساحر من التأثير النفساني في نفسه ومن الضعف في نفس المسحور ومن سوابق شاهدها المسحور واعتقدها فإذا توجه إليه الساحر سخر له وإلى هذا الأصل الإشارة بقوله تعالى في ذكرسحرة فرعون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الْحَجِّ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادَلَةِ الْحَشْرِ ﴾ [الأعراف: ١١٦]

الثاني: استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من الحيوان والمعدن وهذا يرجع إلى خصائص طبيعية كخاصية الزئبق ومن ذلك العقاقير المؤثرة في العقول صلاحا أو فسادا والمفترة للعزائم والمخدرات والمرقدات على تفاوت تأثيرها، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى في سحرة فرعون: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩]

الثالث: الشعوذة واستخدام خفايا الحركة والسرعة والتموج حتى يخيل الجماد متحركا وإليه الإشارة بقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٦٦]

هذه أصول السحر بالاستقراء وقد قسمها الفخر في «التفسير» إلى ثمانية أقسام لا تعدو هذه الأصول الثلاثة وفي بعضها تداخل.

وهذه الأصول الثلاثة كلها أعمال مباشرة للمسحور ومتصلة به ولها تأثير عليه بمقدار قابلية نفسه الضعيفة وهو لا يتفطن لها، ومجموعها هو الذي أشارت إليه الآية، وهو الذي

---

[٢٣] إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني :٢٣٢ وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :٨٨١. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي:٣٥٤-٣٥٥

[٢٤] بصائر ذوي التمييزفي لطائف الكتاب العزيز :٨٨١.

لا خلاف في إثباته على الجملة دون تفصيل، وما عداها من الأوهام والمزاعم هو شيء لا أثر له[٢٥].

أولاً: دلالة الصيغة الاسمية (السحر)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادَلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ ﴾ **[الأعـــــــــراف: ١١٣-١١٦]**

ذكر الطاهر بن عاشور عطفت جملة وجاء السحرة على جملة: قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم [الأعراف: ١١١، ١١٢] وفي الكلام إيجاز حذف. والتقدير :قالوا أرجه وأخاه وأرسل إلخ، فأرسل فرعون في المدائن حاشرين فحشروا وجاء السحرة من المدائن فحضروا عند فرعون، والتعريف في قوله: السحرة تعريف العهد. أي السحرة المذكورون، وجملة: قالوا إن لنا لأجرًا استئناف بياني بتقدير سؤال من يسأل: ماذا صدر من السحرة حين مثلوا بين يدي فرعون؟ فالمعنى على الاستفهام، كما هو ظاهر الجواب بـ(نعم)، وهمزة الاستفهام محذوفة تخفيفاً على تقدير (أ أنَّ لأجراً إن كنا نحن الغالبين) أو يكون المعنى على الخبرية لأنهم وثقوا بحصول الأجر لهم، حتى صيروه في حيز المخبر به عن فرعون، ويكون جواب فرعون بـ(نعم) تقريرا لما أخبروا به عنه.

وتنكير لأجرًا تنكير تعظيم بقرينة مقام الملك وعظم العمل، وضمير نحن تأكيد لضمير كنا إشعارا بجدارتهم بالغلب، وثقتهم بأنهم أعلم الناس بالسحر، فأكدوا ضميرهم لزيادة تقرير مدلوله، وليس هو بضمير فصل إذ لا يقصد إرادة القصر، لأن إخبارهم عن أنفسهم بالغالبين يغني عن القصر، إذ يتعين أن المغلوب في زعمهم هو موسى عليه السلام. [٢٦].،وفصلت جملة: قالوا يا موسى لوقوعها في طريقة المحاورة بينهم وبين فرعون وموسى، لأن هؤلاء هم أهل الكلام في ذلك المجمع. ووصف السحر (بعظيم)

---

[٢٥] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور : ٦٣٣/١.

[٢٦] ينظر: التحرير والتنوير :٤٥/٩.

وصف (بعظيم) لما ظهر من تأثيره في الأعضاء الظاهرة التي هي الأعين بما لحقها من تخييل العصي والحبال حيات ، وفي الأعضاء الباطنة التي هي القلوب بما لحقها من الفزع والخوف ، ولما كانت الرهبة ناشئة عن رؤية الأعين وتأخرت الجملة الدالة عليها[٢٧].

قال تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ﴾ [القصص: ٣٦]

وبين الطاهر ابن عاشور لقد طوي ما بين نداء الله إياه وبين حضوره عند فرعون من الأحداث لعدم تعلق العبرة به. وأسند المجيء بالآيات إلى موسى عليه السلام وحده دون هارون لأنه الرسول الأصلي الذي تأتي المعجزات على يديه، والإشارة في قوله وما سمعنا بهذا إلى ادعاء الرسالة من عند الله لأن ذلك هو الذي يسمع وأما الآيات فلا تسمع. فمرجع اسمي الإشارة مختلف، أي ما سمعنا من يدعو آباءنا إلى مثل ما تدعو إليه فالكلام على حذف مضاف دل عليه حرف الظرفية، أي في زمن آبائنا. وقد جعلوا انتفاء بلوغ مثل هذه الدعوة إلى آبائهم حتى تصل إليهم بواسطة آبائهم الأولين، دليلا على بطلانها وذلك آخر ملجأ يلجأ إليه المحجوج المغلوب حين لا يجد ما يدفع به الحق بدليل مقبول فيفزع إلى مثل هذه التلفيقات والمباهتات[٢٨]،وأظهر المشار إليه قبل اسم الإشارة في قوله: للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين لأنه لا دليل عليه في الكلام السابق، أي إذ ظهر لهم ما هو حق من إثبات للتوحيد أو إخبار عن الغيب أو البعث ما هذا إلا سحر ظاهر سِحريتُه. وإنكارهم أولاً باعتبار معناه ، وثانياً باعتبار لفظه وإعجازه ،وجعلوه سحرًا؛ لأنه خارق للعادة في تأثيره في القلوب، وجذبه النفوس إلى الإيمان به، واحتقار الحياة، ولذاتها في سبيل الله. ولذلك سمُّوه سحراً[٢٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ النَّبَإِ الطَّلَاقِ الشَّجَرَةِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ ﴾ [يونس: ٧٧]

أشار القرطبي أن في الكلام إيجاز حذف، والمعنى: أتقولون للحق هذا سحر. فـ"-أتقولون" استفهام إنكاري وتوبيخي ، إذ جعلوا الحق سحراً ، أسحر هذا أي : مثل هذا الحق لا يدعى أنه سحر يعني أنه ليس بسحر ثم أخبر على صحة قوله فقال (ولا يفلح الساحرون) يعني حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح أبداً) وقولهم

---

(٢٧) ينظر: البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي:٣٦٢/٤.

(٢٨) ينظر: التحرير والتنوير : ١١٩/٢٠

(٢٩) ينظر: حدائق الروح والريحان:١١٣/١٩.

محذوف أي قالوا هذا سحر، ثم استأنف إنكارًا آخر من قبله فقال: أسحر هذا! فحذف قولهم الأول اكتفاء بالثاني من قولهم، منكرًا على فرعون وملئه[٣٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ [المدثر: ٢٤]

في الآية صيغة حصر متحققة بالنفي والاستثناء، فهو قصر تعيين لأحد الأقوال التي جالت في نفسه لأنه قال: ما هو بكلام شاعر ولا بكلام كاهن ولا بكلام مجنون، ووصف هذا السحر بأنه مأثور، أي مروي عن الأقدمين، يقول هذا ليدفع به اعتراضا يرد عليه أن أقوال السحرة وأعمالهم ليست مماثلة للقرآن ولا لأحوال الرسول فزعم أنه أقوال سحرية غير مألوفة، وجملة إن هذا إلا قول البشر بدل اشتمال من جملة إن هذا إلا سحر يؤثر بأن السحر يكون أقوالا وأفعالا فهذا من السحر القولي. وهذه الجملة بمنزلة النتيجة لما تقدم، لأن مقصوده من ذلك كله أن القرآن ليس وحيا من الله[٣١].

دلالة صيغة اسم الفاعل (ساحر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طـــــه : ٦٥- ٦٩]

ذكر أبو الثناء الآلوسي في قوله تعالى أَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ (لم يأتِ التركيب وألق عصاك لما في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة . قال الزمخشري : وقوله (مَا فِى

(٣٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:٣٦٦/٨.

(٣١) ينظر: التحرير والتنوير :٣١٠/٢٩.

يَمِينِكَ) ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيراً لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم ، وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فإنه بقدرة الله يتلقفها على حدته وكثرتها وصغره وعظمها ، وجائز أن يكون تعظيماً لها أي لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عندها ، فألقه تتلقفها بإذن الله وتمحقها انتهى . وهو تكثير وخطابه لا طائل في ذلك. الكشاف ، و(تَلْقَفْ) مبالغة في اللقف وهو الابتلاع والازدراد، وقد حمل على معنى ما لا على لفظها إذ أطلقت ما على العصا والعصا مؤنثة ، ولو حمل على اللفظ لكان بالياء . فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ أي تبتلع بسرعة، وأصل التلقف الأخذ بسرعة،والتعبير بالمضارع لاستحضار السورة والدلالة على الاستمرار ما يَأْفِكُونَ أي الذي يقلبونه من حاله الأول وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى[٣٢].فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ أي خروا ساجدين إثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه، وعبر عن الخرور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا فهناك استعارة تبعية زادت حسنها المشاكلة، وبحث في ذلك بعضهم بأن الله تعالى خالق خرورهم عند أهل الحق وخلقه هو الإلقاء فلا حاجة إلى التجوز. وفي سجود السحرة وتسليمهم دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له لأن السحر أقوى ما كان في زمن موسى عليه السلام ومن أتى به فرعون أعلم أهل عصره به وقد بذلوا جهدهم وأظهروا أعظم ما عندهم منه ولم يأتوا إلا بتمويه وتزويق كذا قيل. والتحقيق أن ذلك هو الغالب في السحر لا أن كل سحر كذلك. كَيفَ قَالُوا لمُوسَى: يَا أَيهَا السَّاحر وهم يَزْعمُونَ أَنهم مهتدون، فَالْجَوَاب فِي ذَلِك أَن السَّاحر عِنْدهم كَانَ نَعْتاً مَحْمُودًا، والسِّحْرُ كَانَ عِلْماً مرغوباً فِيهِ: فَقَالُوا: يَا أَيهَا السَّاحر على جِهَة التَّعْظِيم لَهُ، وخاطبوه بِمَا تَقدّم لَهُ عِنْدهم من التَّسْمِيَة بالساحر إِذْ جَاءَ بالمعجزات الَّتِي لم يعهدوا مثلهَا وَلم يكن السحر عِنْدهم كفرا وَلَا كَانَ مِمَّا يتعايَرون بِهِ، وَلذَلِك قَالُوا لَهُ: يَا أَيهَا السَّاحر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانفِطَارِ ﴾[الشعراء: ٣٧]

(٣٢) ينظر: روح المعاني، الآلوسي :١٠/٧٨.

فجاء بكلمة الإحاطة(كل) وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلۡأَشۡقَى ٱلۡبُرُوجِ ٱلطَّارِقِ ٱلۡأَعۡلَى ٱلۡغَاشِيَةِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ [الشعراء: ٣٨]، أي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ٥٩ ﴾ [طه : ٥٩]، والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلۡبَلَدِ ٱلشَّمۡسِ ٱللَّيۡلِ ٱلضُّحَىٰ ٱلشَّرۡحِ ٱلتِّينِ ﴾ الشعراء: ٣٩] ، أي : اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم { لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ } [الشعراء : ٤٠] في دينهم { إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ } [الشعراء : ٤٠] أي غلبوا موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى[٣٣].{يأتوك بكل سحار عليم}، وكان من المتوقع أن يقول: (يأتونك)، فما هو الفرق بين (يأتوك) وبين (يأتونك) من حيث المعنى؟ لو قال: (يأتونك) لكانت صفة لـ (حاشرين)، أي: حاشرين يأتونك بكل سحار عليم، لكن المراد خلاف ذلك؛ لأن: (يأتوك) أبلغ من: يأتونك، حيث كانت جوابا للأمر، الذي هو للمشورة، إذن (ابعث) أيضا ليست أمرا حقيقيا، فهي أمر للمشورة: (ابعث يأتوك)؛ لأنه بمجرد بعثك يأتونك به.

لكن لو كانت صفة لـ (حاشرين): (حاشرين يأتونك) لكان من الجائز ألا يأتوا، فصفة الحاشر من يجمع ويأتي بالسحرة، لكن قد يتهيأ له ذلك وقد لا يتهيأ، أما إذا قال: ابعث يأتوك، صار هذا مثل الشرط والجزاء، يعني: إنه إذا حصل بعثك لزم منه النتيجة، وهو أن يأتوك بكل سحار عليم.

و(سَحَّار) هي من باب المبالغة، أو هي من باب النسبة، كما يقال: بناء ونجار وصناع، يعني: لأن صنعته السحر، ولا يكون ذلك ولا ينسب الإنسان إلى هذه الصفة إلا إذا كان مجيدا فيها، فلا يقال لمن بنى مرة واحدة: إنه بناء، ولا لمن نجر مرة واحدة: إنه نجار، وإنما يقال ذلك فيمن أتقن المهنة والصنعة. أي متناه في العلم به بعد ما تناهى في التجربة ؛ فائق في فن السحر. لَا يغلبون، علماء بأسبابه، وما يكون فيه، بحيث لَا يغيب عنهم باب من أبوابه ولا طريق من طرائقه، ولا منهاج من مناهجه. ولم

(٣٣) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي :١٥٠/٣

يقل: بكل ساحر، إنما سحَّار يعني: هذه مهنته، وكما تقول: ناجر ونجار، وخائط وخياط[٣٤].

إذاً فالسحار إما صيغة مبالغة أو صيغة نسبة، والفرق بينهما ظاهر؛ لأن (سحار) على معنى المبالغة بمعنى كثير السحر،. وأتوا بصيغة المبالغة ؛ ليُسَكِّنُوا بعض رَوعته[٣٥].ولكن (سحار) على معنى النسبة بمعنى أنه متقن لهذه الصنعة؛ لأنه نسب إليها.

والظاهر أن النسبة أولى، يعني: بذي سحر قد أتقن هذه المهنة، فتكون للنسبة، ويغني عن المبالغة قولهم: (عليم) يعني فائق السحر، وقد يقال: إن هذا يغني عن النسبة وإن (سحار) صيغة مبالغة لكثرة سحره وإتقانه.

قال: {سحار عليم} أي سحار وعليم، ولهذا قد يترجح أنها للمبالغة وتكون النسبة مفهومة من قوله: {عليم}. وعبر بالبناء للمفعول إشارة إلى عظمة ملكه فقال : (فجمع) أي بأيسر أمر لما له عندهم من العظمة) السحرة (كما تقدم غير مرة) لميقات يوم معلوم[٣٦].

قال تعالى: {يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ }

هذا أبلغ، من لو قيل: يأتوك بكل سحَّار عليم؛ لأنهم إذا أتوا بالساحر فأحرى أن يأتوا بالسحار؛ لأنه يلزم من أمرهم بالإتيان بالسحار بخلاف العكس، ووقع التأكيد في قولهم (إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ). حسب التصور والتصديق، فالتصور بأن واللام، والتصديق بعليم، وكان بعضهم يقول أنه يوهم أن قراءة الباقين بالهمز غير ساكن، وجوابه: أن القراءة دخلت عليه الياء وهو الهمز.

فالقائلون في الأعراف هم الملأ والقائل في الشعراء هو فرعون وعندما كانت المحاجة عند فرعون وانقطعت الحجة بقول (بسحره) . والفرق بين (أرسل) و (ابعث) في اللغة كبير: أرسل وفعل الإرسال تردد في سورة الأعراف أكثر مما تردد في سورة الشعراء (ورد ٣٠ مرة في سورة الأعراف و١٧ مرة في سورة الشعراء) هذا من الناحية اللفظية. وفعل (بعث) هو بمعنى أرسل أو هيّج ويقال في اللغة بعث البعير أي هيّجه وفي البعث إنهاض كما في قوله تعالى (ويوم يبعث من كل أمة شهيداً) (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) أي أقامه لكم وليست بنفس معنى أرسله. فلما كانت المواجهة والتحدّي

---

[٣٤] ينظر: تفسير الشعراوي :١٠٦٥٥.

[٣٥] ينظر: البحر المديد :٢٤٧/٥

[٣٦] ينظر: نظم الدرر :٣٥٧/٥.

في سورة الشعراء أكثر جاء بلفظ (بعث) ولم يكتفي بالإرسال إنما المقصود أن ينهض من المدن من يواجه موسى ويهيجهم وهذا يناسب موقف المواجهة والتحدي والشدة. وكذلك في اختيار كلمة (ساحر) في سورة الأعراف و (سحّار) في سورة الشعراء لأنه عندما اشتد التحدي تطلّب المبالغة لذا يحتاج لكلّ سحّار وليس لساحر عادي فقط ونلاحظ في القرآن كله حيثما جاء فعل (أرسل) جاء معه ساحر وحيثما جاء فعل (بعث) جاء معه سحّار. وفي سورة الأعراف وردت كلمة السحر (٧) مرات في حين وردت (١٠) مرات في سورة الشعراء مع العلم أن سورة الأعراف أطول من سورة الشعراء.

وكذلك قوله تعالى في سورة الأعراف قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَرْيَمَ طٰهٰ الأنبيَاء الحَجّ المُؤمِنُون النُّور الفُرقَان الشُّعَرَاء النَّمل القَصَص العَنكَبُوت الرُّوم ﴾ [الأعراف: ١١٢]، أما في سورة الشعراء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ ﴾[الشعراء :٤١] ، ففي سورة الأعراف لم يقل (قالوا لفرعون) أما في سورة الشعراء فقال (قالوا لفرعون) أي أصبح القول موجهاً إلى فرعون لأن التحدي أكبر في سورة الشعراء وفيها تأكيد أيضاً بقوله (أئن لنا لأجراً) ، أما في سورة الأعراف (إن لنا لأجراً) المقام يقتضي الحذف لأن التفصيل أقلّ. وفي سورة الأعراف قال تعالى (قال نعم إنكم إذاً لمن المقربين) فجاء بـ (إذاً) حرف جواب وجزاء وتأتي في مقام التفصيل لأن سياق القصة كلها في سورة الشعراء فيها كثر من التفصيل بخلاف سورة الأعراف[٣٧].

صيغة الجمع (السحرة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَرْيَمَ طٰهٰ الأنبيَاء الحَجّ المُؤمِنُون النُّور الفُرقَان الشُّعَرَاء النَّمل القَصَص العَنكَبُوت الرُّوم ﴾ [الأعراف: ١١٣] ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ ﴾[الشعراء : ٤١]

قَدَّرَ الدكتور فاضل السامرائي في قوله تعالى وجاء السحرة فرعون (في الكلام حذف أي فبعث في المدائن حاشرين وجاء السحرة فرعون قوله) قالوا إن لنا لأجرا (أي فلما جاءوا فرعون قالوا له إن لنا لأجرا والجملة استئنافية جواب سؤال مقدر كأنه قيل أي

[٣٧] ينظر: لمسات بيانية :٧٤٧.

شيء قالوا له لما جاءوه والأجر الجائزة والجعل ألزموا فرعون أن يجعل لهم جعلا إن غلبوا موسى بسحرهم قرأ نافع وابن كثير) أن لنا (على الإخبار وقرأ الباقون) أئن لنا (على الاستفهام استفهموا فرعون عن الجعل الذى سيجعله لهم على الغلبة ومعنى الاستفهام التقرير وأما على القراءة الأولى فكأنهم قاطعون بالجعل وأنه لا بد لهم منه. الفتح القدير : ٢/٢٣٢. في الأعراف ذكر أن ملأ فرعون هم الذين قالوا أن موسى ساحر (قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) في الشعراء فرعون هو الذي قال وليس الملأ (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ)، لأن الكلام كان شديداً بينه وبين موسى. في الشعراء ناسب أن يواجهوا فرعون بالقول لأن هو الذي قال. في الأعراف قال :((وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ)) وفي الشعراء قالوا (فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١)) . هناك لم يقولوا قالوا لفرعون لأن المتكلم كان الملأ لأن القائل الأول ليس فرعون. في الشعراء قالوا لفرعون (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١)) لم يقولوا إن زيادة في التوكيد وزيادة في سرد الأحداث لما كان التفصيل أكثر قال (أئن) . الفرق بين (إن وأئن، أئن استفهام مضمر (هل تذهب؟) أحياناً حرف الاستفهام يضمر ولا يذكر لكن يفهم من السياق تذهب معي؟ أصلها أتذهب معي؟ إن لنا لأجراً استفهام لكن لم يذكروا همزة الإستفهام. أما في الثانية فالوضع فيه شدة وحدة وتفصيل أكثر والاستفهام أدل على هذا الأمر وصرحوا بالهمزة (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) .حتى في الجواب قال في الأعراف (قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤)) وفي الشعراء قال (قَالَنَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)) أضاف إذن لأن الموقف مختلف يريد أن ينتصر وكان الكلام شديداً مع موسى ولا يمكن أن يواجهه الحجة. ليس هذا فقط وإنما في الشعراء أقسموا بعزة فرعون (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤)) أما في الأعراف ما قالوا هذا الشيء لأن فرعون في مأزق في المناقشة وصار عصبياً فأقسموا بعزة فرعون ولم يقسموا في الأعراف[٣٨].

صيغة اسم المفعول (مسحور)

قال تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طه الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يس الصَّافَّاتِ ص الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ ق الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ ﴾

[الإسراء: ٤٧]

---

[٣٨] ينظر: لمسات بيانية : ١٠١٧.

أي ما تطيعون إلا رجلا مغلوب العقل وذكر القتبي عن مجاهد أنه قال " مسحورا " أي مخدوعا لأن السحر حيلة وخديعة كقوله﴿ ٱلۡغَاشِيَةِ ٱلۡفَجۡرِ ٱلۡبَلَدِ ﴾ [المؤمنون : ٨٩]، أي من أيه تخدعون لأن السحر حيلة وخديعة، وذلك لأن المشركين كانوا يقولون: إن محمدا يتعلم من بعض الناس هذه الكلمات، وأولئك الناس يخدعونه بهذه الكلمات وهذه الحكايات، فلذلك قالوا: إنه مسحور أي مخدوع، وأيضا كانوا يقولون: إن الشيطان يتخيل له فيظن أنه ملك فقالوا: إنه مخدوع من قبل الشيطان[٣٩].

وذكر عن أبي عبيدة قال السحر الرئة يقال للرجل إنتفخ سحرك إذا جبن يعني إن تتبعون إلا رجلا ذا رئة أي رجلاً مخلوقاً مثلكم من بني آدم[٤٠].فكأنهم ذهبوا إلى تحقيره، أي رجلا مثلكم في الخلقة، ذكره مكي وغيره، ثم نبّهه الله تعالى مسليا عن مقالتهم فقال انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ بالمسحور والكاهن والساحر وغيره فَضَلُّوا أي أخطئوا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسهم بضده من الضلال[٤١].

الصيغ الفعلية:

قَالَ تَعَالَى:﴿ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ ٱعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [الأعراف: ١٣٢]

وَقالُوا مَهْما أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد، ثم قلبت ألفها هاء استثقالاً للتكرير.

وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء أو النصب بفعل يفسره.

تَأْتِنا بِهِ أي أيما شيء تحضرنا تأتنا به. مِنْ آيَةٍ بيان لمهما، وإنما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا: لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ أي لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا، والضمير في به وبها لمهما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنثه بعده باعتبار المعنى[٤٢] (وبالغوا في انتفاء الإيمان بأن صدّروا الجملة بنحن وأدخلوا

---

[٣٩] ينظر: التفسير الكبير :٣٥١/٢٠

[٤٠] ينظر: بحر العلوم ، السمرقندي :٣١٤/٣.

[٤١] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٢٠١/٤.

[٤٢] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٢٠١/٤.

الباء في) بِمُؤْمِنِينَ (أي أنّ إيماننا لك لا يكون أبداً) [٤٣] إظهار لكما الطغيان والغلو فيه وتسمية للإرشاد إلى الحق بالسحر وتسكير الأبصار والضميران المجروران راجعان إلى مهما وتذكير الأول لمراعاة جانب اللفظ لإبهامه وتأنيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتنبيه بآية[٤٤]، فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. وهذا من عظيم عتوهم وانهماكهم في الكفر[٤٥].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ ﴾

[المؤمنون: ٨٤ ــ ٨٩]

لقد ختم الله تعالى كل سؤال بما يناسبه فختم ملك الأرض ومن فيها حقيق أن لا يشرك به بعض خلقه ممن في الأرض ملكا له الربوبية وختم ما بعدها بالتقوى وهي أبلغ من التذكر وفيها وعيد شديد أي أفلا تخافونه فلا تشركوا به. وختم ما بعد هذه بقوله فأنى تسحرون مبالغة في التوبيخ بعد إقرارهم والتزامهم ما يقع عليهم به في الاحتجاج وأنى بمعنى كيف ومن أين، وفي هذا تقرير سحرهم وهو سؤال عن الهيئة التي سحروا بها، ، قرر أنهم مسحورون وسألهم عن الهيئة التي سحروا بها أي كيف تخدعون عن توحيده وطاعته، والسحر هنا مستعار وهو تشبيه لما يقع منهم من التخليط ووضع الأفعال والأقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك [٤٦].

ثم بعد ذلك قال: «فَأَنَّى تُسْحَرُونَ» أي بعد وضوح الحجة فأىّ شكّ بقي حتى تنسبوه إلى السّحر؟ [٤٧] فوقع التوبيخ بعد في غاية البلاغة وقالت فرقة تُسْحَرُونَ معناه

---

[٤٣] ينظر: البحر المحيط :٣٧٠/٤

[٤٤] ينظر: إرشاد العقل السليم ، أبو السعود:٢٦٤/٣.

[٤٥] ينظر: البحر المديد :٢٥١/٢.

[٤٦] البحر المحيط : ٥٨١/٧..

[٤٧] لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري :٥٨٦/٢،

تمنعون[٤٨]،ورتب هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج فقال أولاً : { أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ } ثم قال ثانياً : { أَفَلاَ تَتَّقُونَ } ، وذلك أبلغ ، لأن فيه زيادة تخويف ، ثم قال ثالثاً : { فأنى تُسْحَرُونَ } وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره { وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } يعني فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد ، ولذلك رد عليهم بنفي ذلك، والعدول عن الخطاب من قوله فأنى تسحرون [المؤمنون: ٨٩] إلى الغيبة التفات لأنهم الموجه إليهم الكلام في هذه الجملة. والحق هنا: الصدق فلذلك قوبل بنسبتهم إلى الكذب فيما رموا به القرءان من قولهم (إن هذا إلا أساطير الأولين) (المؤمنون: ٨٣) وفي مقابلة الحق ب لكاذبون محسن الطباق[٤٩].

الخاتمة

بعد الطواف في رحاب آيات مادة (س،ح، ر) والنهل من كتب التفسير والبلاغة يسطر البحث أهم ما توصل إليه من النتائج ...

١. تبين لنا أن لمادة (س،ح، ر) أكثر من وجه من الوجوه منها مايدل على السِّحْرِ وهو فعل السحرة ومنها يدل على وقت السحر قبيل الفجر.

٢. تنوع صيغ مادة (س،ح،ر) أعطى معاني زاخرة ودلالات كبيرة سواء ما كان منها بصيغ الفعلية أو الاسمية كما تبين لنا ذلك عند الوقوف على صيغ اسم الفاعل واسم المفعول والجمع وبيان ودلالتها وبلاغتها.

٣. حوت كل آية من آيات مادة (س،حر،ر) فنونًا بلاغية متنوعة منها ما يتعلق بعلم المعاني والبيان والبديع وهذا ما وجدناه عند تحليل عدد من الآيات التي وقفنا عليها.

٤. أدت الاستعارة وظيفة بلاغية في بيان معاني الآيات والغرض الذي جاءت من أجله .

٥. لاحظ البحث وجود ترابط كبير بين جرس الألفاظ ودلالتها إذ أدت كل لفظة منهما دورها في السياق الذي وردت فيه.

٦. كان للقراءات القرآني أثرها في بيان المعنى فضلاً عن دورها في بلاغة ولاسيما ما جاء في الاستفهام التقريري .

---

[٤٨] التسهيل لعلوم التنزيل/١١٩٩.

[٤٩]التحرير والتنوير:١١٢/١٨.

المصادر

- **القرآن الكريم:**

٠١ أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية – مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٦٣.

٠٢ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

٠٣ أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٠٤ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق : عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين- بيروت ،الطبعة : الثالثة ١٩٨٠م.

٠٥ الأضداد: محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،نشر وزارة الإعلام الكويتية ، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٠٦ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٠٧. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني،محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) تحقيق :د.محمد عبد المنعم خفاجي ،الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
٠٨. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت، (د.ط) ، (د.ت).
٠٩. البحر المحيط ،أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ،تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى : ١٤٢٠ هـ.
١٠. البحر المديد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ،القاهرة ،الطبعة الأولى : ١٤١٩هـ.
١١. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (د.ط) (د.ت).
١٢. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) ،تحقيق: محمد علي النجار ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،(د. ط)، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
١٣. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار النشر: مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة: السابعة ١٤١٨هـ، ١٩٨٨م.
١٤. تاج اللغة وصحاح العربية ،، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
١٥. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور(المتوفى: ١٣٩٣هـ) ،دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس (د. ط) ،١٩٩٧ م.
١٦. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)،تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

١٧. التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي ،دار الكتب للطباعة والنشر ،جامعة الموصل ،١٩٨٧م.
١٨. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم،١٩٩٧م.
١٩. تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م
٢٠. توقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) : عالم الكتب –القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢١. جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م..
٢٣. جماليات السياق القرآني وتجلياته في الدرس البلاغي : أ.د. عقيد خالد حمودي العزاوي، الطبعة الثانية، دار الفراهيدي–بغداد ٢٠١١م.
٢٤. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن،محمد الأمين عبد الله الأرمي،إشراف ومراجعة د. هاشم محمد علي بن الحسين.دار طوق النجاة . الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٢٥. دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير – دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير ، رسالة ماجستير ،جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين، الرياض – السعودية :١٤٢٠هـ.
٢٦. دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، دائرة المكتبات والوثائق الوطنية ،عمان – الأردن ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٢٧. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (المتوفى ٤١٧هـ) تعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي ،مصر (د.ت).

٢٨. ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي،شرحه وعني بتحقيقه د.عزة حسن،دار الشرق العربي- بيروت،١٩٩٥م.
٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٣٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت(د.ط)، (د.ت).
٣١. السياق القرآني وأثره في التفسير –دراسة نظرية تطبيقية –من خلال تفسير ابن كثير : عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري ،رسالة ماجستير في علوم القرآن ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ،١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٣٢. القاموس المحيط، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٣٣. لطائف الإشارات = تفسير القشيري ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)،تحقيق: إبراهيم البسيوني ،الهيأة المصرية العامة للكتاب مصر، الطبعة: الثالثة، (د.ت)
٣٤. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ،الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.
٣٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى : ١٤٢٢هـ.
٣٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٣٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، (د.ط)، (د.ت).
٣٨. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، عالم الكتب – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٣٩. معجم المصطلحات اللغوية والأدبية: د. علية عزت عياد،
٤٠. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
٤١. مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى ٣٩٥هـ) ،تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ،الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٤٢. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.
٤٣. نظرية السياق القرآني: د. المثنى عبد الفتاح محمود،دار وائل للنشر ،عمان – الأردن ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.
٤٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،، أبو بكر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن البقاعي(المتوفى: ٨٨٥هـ) تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت (د.ط) ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .